

الدعم المسرحى للمشروع الصهيونى فى
فلسطين حتى قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨

دكتورة/ سماح خميس مسعود

مدرس الدراما والنقد قسم الدراسات المسرحية

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الملخص باللغة العربية

الدعم المسرحي للمشروع الصهيوني
في فلسطين حتى قيام دولة إسرائيل
عام ١٩٤٨

Abstract **Theatrical support for the** **Zionist project in Palestine** **until the establishment of the** **state of Israel in 1948**

Modern Zionism emerged late nineteenth century, a movement aimed at the return of the Jews to the Promised Land or Eretz Israel by the Jewish label, and the establishment of a state for the Jews in Palestine, the world in which control of the whole world , according to a divine promise . Since that time, the wisest Jews of the world did not leave their organizations Zionism means to support their goals and only taken where adapted to theater and makes it one of its weapons to achieve its principles.

I found a researcher is studying this kind of art - oriented ideology that there is a paucity of studies found in the texts, which affects the ambiguity of the political impact of this theater. Search was an attempt to uncover the mystery of the questionnaire over the political Zionists versatility in the use of the art broadcasting Zionist thought , here's a question you could show theater-goers faithful Zionism combine attention Zionist discourse and progress in the course of the global theatrical movement .

ظهرت الحركة الصهيونية الحديثة
أواخر القرن التاسع عشر، وهي الحركة
الرامية إلى عودة اليهود لأرض الميعاد أو
إيرتس إسرائيل حسب التسمية اليهودية،
 وإقامة دولة لليهود العالم في فلسطين تحكم
من خلالها العالم كله حسبما جاء في الوعد
الالهي. ومنذ ذلك الوقت أحكم يهود
العالم تنظيماتهم فلم تترك الصهيونية وسيلة
لدعم أهدافها إلا واتخذتها حيث طوعت
الفن المسرحي فجعلته أحد أسلحتها في
تحقيق مبادئها.

لقد وجدت الباحثة وهي بصدد
دراسة هذا النوع من الفن الموجه
أيديولوجياً أن ثمة ندرة في العنصر على
دراسات ونصوص مما يؤثر في غموض
الأثر السياسي لهذا المسرح. فكان البحث
محاولة لكشف هذا الغموض لاستبيان
مدى براعة السياسيين الصهاينة في
استخدام الفن لبت الفكر الصهيوني، وهنا
يظهر تساؤل هل استطاع رواد المسرح
المؤمنين بالصهيونية الجمع بين الاهتمام
بالخطاب الصهيوني وتحقيق تقدم في مسار
الحركة المسرحية العالمية.

مقدمة:

ظهرت الحركة الصهيونية(*) الحديثة أواخر القرن التاسع عشر، وهي الحركة الرامية إلى عودة اليهود لأرض الميعاد أو إيريتس إسرائيل(**) حسب التسمية اليهودية، وإقامة دولة لليهود العالم في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله حسبما جاء في الوعد الآلهي. ومنذ ذلك الوقت أحكم يهود العالم تنظيماتهم فلم تترك الصهيونية وسيلة لدعم أهدافها إلا واتخذتها حيث طوعت الفن المسرحي فجعلته أحد أسلحتها في تحقيق مبادئها.

لقد وجدت الباحثة وهي بصدد دراسة هذا النوع من الفن الموجه أيديولوجياً أن ثمة ندرة في العثور على دراسات ونصوص مما يؤثر في غموض الأثر السياسي لهذا المسرح. فكان البحث محاولة لكشف هذا الغموض لاستبيان مدى براعة السياسيين الصهاينة في استخدام الفن لبث الفكر الصهيوني، وهنا يظهر تساؤل هل استطاع رواد المسرح المؤمنين بالصهيونية الجمع بين الاهتمام بالخطاب الصهيوني وتحقيق تقدم في مسار الحركة المسرحية العالمية.

المبحث الأول: المشروع الصهيوني:

لم تظهر الصهيونية بين يوم وليلة، وإنما ظهرت بالتدرج "فهى قديمة قدم التوراة، وهى التى أجمت للروح القومية عند اليهود"^(١) "وكان يضاف لكل مرحلة عنصر جديد إلى أن اكتملت الصورة، فظلت الصهيونية مجرد فكرة، ولكنها تحولت إلى حركة منظمة أواخر القرن التاسع عشر"^(٢) "فالصهيونية الحديثة هى الحركة المنسوبة إلى تيودور هرتزل

(*) تشير كلمة صهيون فى التراث الدينى اليهودى إلى جبل صهيون جنوب القدس، بل إلى الأرض المقدسة ككل، والواقع أن العودة إلى صهيون فكرة محورية فى النسق الدينى اليهودى إذ أن أتباع هذه العقيدة يؤمنون بأن الماشيح سيأتى فى آخر الأيام ليقود شعبه إلى صهيون ويحكم العالم.

(**) وتعنى أرض المجاهد مع الرب والمقصود بإسرائيل يعقوب عليه السلام.

(١) صيد الفوائد - الصهيونية www.saiid.net

(٢) عبد الوهاب المسيرى: "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية". المجلد السادس، للتحميل 4kotob.com

الصحفي اليهودى النمساوى (١٨٦٠-١٩٠٤) ففي عام ١٨٩٦ قام هرتزل بنشر كتاب (دولة اليهود) وفي عام ١٨٩٧ نظم أول مؤتمر صهيونى فى (بازل - سويسرا) وصيغ برنامج بازل وكان من أهم نتائجه إقامة (المنظمة الصهيونية العالمية) لتنفيذ البرنامج الصهيونى بقيادة هرتزل، وتشكيل الجهاز التنفيذى (الوكالة اليهودية) لتنفيذ قرارات المؤتمر ومهمتها جمع الأموال فى صندوق قومى لشراء الأراضى وإرسال المهاجرين لإقامة المستعمرات لليهود فى فلسطين ثم إقامة وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين وذلك عن طريق: تشجيع الهجرة اليهودية لفلسطين - تنظيم اليهود وربطهم بالحركة الصهيونية - اتخاذ السبل والتدابير للحصول على تأييد العالم.

ولقد عملت المنظمة بإصرار منذ صدور قرار تأسيسها لتحقيق أهدافها الأمر الذى تحقق على أرض فلسطين عام ١٩٤٨".^(١)

"وتستمد الصهيونية فكرها ومعتقداتها من الكتب المقدسة، وتهدف الصهيونية إلى السيطرة اليهودية على العالم كما وعدهم الهيم (يهوه). وتعتبر المنطلق لذلك هو إقامة حكومتهم على أرض الميعاد التى تمتد من النيل إلى الفرات. إنهم العنصر الممتاز الذى يجب أن يسود وكل الشعوب الأخرى خدم لهم".^(٢) هكذا آمن اليهود على مر العصور. "يقول (موشى ديان) أحد زعماء اليهود: إذا كنا نملك التوراة، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة، فمن الواجب علينا أن نمتلك جميع الأراضى التوراتية"^(٣). وترجع هذه المعتقدات لمجموعة من التعاليم التوراتية فى "سفر التكوين. الإصحاح الخامس عشر: (١٣) فقال لإبرام أعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً فى أرض ليست لهم ويستعبدون لهم فيذلونهم أربع مائة سنة. ١٤ ثم الأمة التى يستعبدون لها أنا أدينها وبعد ذلك يخرجون بأمالك جزيلة. ١٥ وأما أنت فتمضى إلى آبائك بسلام وتدفن بشيئة صالحة. ١٦ وفى الجيل الرابع يرجعون إلى ههنا لأن ذنب الأموريين ليس إلى الآن كاملاً. ١٧ ثم غابت الشمس

(1)www.aklaam.com

(٢)صيد الفوائد. الصهيونية. موقع سبق ذكره.

(٣)رجاء جارودى: "الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية". القاهرة: دار الغد العربى، ١٩٩٦، ص ٣٥.

فصارت العتمة وإذا تنور دخان ومصباح نار يجوز بين تلك القطع. ١٨ فى ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات).

أما فى الإصحاح السابع عشر: (فلا يدعى اسمك بعد إبرام بل يكون اسمك إبراهيم لأنى أجعلك أباً لجمهور من الأمم. ٦ وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً وملوكاً منك يخرجون. ٧ وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهداً أبدياً. لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك. ٨ وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون ألههم. ٩ وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدى أنت ونسلك من بعدك فى أجيالهم..... ١٩ فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحق وأقيم عهدى معه عهداً أبدياً لنسله من بعده. ٢٠ وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً أثنى عشر رئيساً يلد واجعله أمة كبيرة. ٢١ ولكن عهدى أقيمه مع إسحق الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت من السنة التالية).

وفى سفر الخروج. الإصحاح السادس: (٥ وأنا أيضاً قد سمعت أنين بنى إسرائيل الذين يستعبدهم المصريين وتذكرت عهدى. ٦ لذلك قل لبنى إسرائيل أنا الرب وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين وأنقذكم من عبوديتهم وأخلصكم بذراع ممدودة وبأحكام عظيمة. ٧ واتخذكم لى شعباً وأكون لكم إلهاً فتعلمون أنى أنا الرب إلهكم الذى يخرجكم من تحت أثقال المصريين. ٨ وأدخلكم إلى الأرض التى رفعت يدى أن أعطيها لإبراهيم وإسحق ويعقوب وأعطيتكم إياها ميراثاً. أنا الرب).

أما فى سفر يشوع فى الإصحاح الأول والذى يوضح مراحل تنفيذ الوعد الآلهى: (١ وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً. ٢ موسى عبدى قد مات فالآن قم وأعبّر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التى أنا معطيها لهم أى لبنى إسرائيل. ٣ كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى) وفى الإصحاح الحادى عشر: (٢٣ فأخذ يشوع كل الأرض حسب كل ما

كلم به الرب موسى وأعطاهما يشوع ملكاً لإسرائيل حسب فرقهم وأسابطهم واستراحت الأرض من الحرب".^(١)

إنطلاقاً مما سبق، وبغض النظر عن طبيعة هذا العهد، ولمن صدر الوعد تحديداً، ومخالفته منطقياً لصفات الألوهية. "إلا أن الزعماء الصهانية أعلنوا أن فلسطين قد أعطيت لهم من الرب، وأنهم المختارون في الأرض. وشرح (ناثان ونيسوك) هذا التناقض في كتابه (الصهيونية ضد إسرائيل) قائلاً: لو ألغينا مفاهيم شعب الله المختار والأرض الموعودة لانهارت الصهيونية من أساسها إن هذا البلد وجد كوفاء لوعده الرب على نفسه، وتتطابق الممارسة مع النظرية التي مفادها الاستيلاء على الأرض بطرد سكانها كما فعل (يشوع) خليفة موسى. لقد آمن الجميع بالمعتقدات وآلية تنفيذها حيث أعلن (مناحم بيجين) وهو أشد اليهود إيماناً بالتعاليم التوراتية أن أرض إسرائيل الكبرى ستعود إلى شعب إسرائيل كلها وللأبد. كما صرحت (جولدا مائير) قائلة: لا يوجد شعب فلسطيني، وكأننا نحن الذين جننا لإخراجه من دياره والاستيلاء على بلده، فهم الفلسطينيون لا وجود لهم".^(٢)

"لقد انطلقت الصهيونية، لتحقيق فكرة القومية اليهودية، فالقومية اليهودية هي عبارة مرادفة لمصطلح الصهيونية، وهي تفترض أن كل يهود العالم يشكلون شعباً واحداً يحكمهم كيانا دينياً متماسكاً فهم يتمتعون بعلاقة خاصة مع الإله الذي يحل بهم ويمنحهم درجة عالية من القداسة ويتولى قيادتهم وتوجيه تاريخهم القومي المقدس"^(٣)

وبذلك اعتمدت الصهيونية على إحياء هذا التراث الديني لتحقيق أهدافها في جمع يهود العالم تحت مظلة الفكر الواحد. وللصهيونية تنظيمات في جميع الميادين لتملك وسائل السيطرة، وفي مقدمتها ميدان الثقافة وما يتصل بها من شؤون الآداب والفنون. "فلقد اعتمدت المنظمة الصهيونية على مبدأ التخصص في أعمالها فتأسست

(1) www.enjeel.com

(٢) "الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية": مرجع سبق ذكره، ص ١٥٣: ١٥٦.

(٣) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية": المجلد السادس، مرجع سبق ذكره.

الهيئات والمكاتب والفروع المتخصصة، ووظفت لكل هيئة مجموعة وأعطت لكل فرد عملاً حسب تخصصه وبهذا أطمأنت أن جميع برامجها ستتم بنجاح" (١)

المبحث الثاني: البنية الثقافية للمشروع الصهيوني:

"في إسرائيل يعيش مختلف اليهود الذين قدموا من أنحاء كثيرة فحياتهم كانت متباينة في نواحي عديدة، حيث تختلف أطرها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، يعيش هؤلاء جميعاً حياة جديدة. إن عملية الجمع التي تمت من بقاع عديدة حتمت خلق الحضارة العبرية (*) والتي تعتمد أساساً على القيم التوراتية والثقافة اليهودية الموروثة، فكان من المهم تزويد هذه المجموعات في مجموعة واحدة، لكي تصح إسرائيل أمة واحدة" (٢) وبذلك "لم تركز الحركة الصهيونية كل جهودها على النشاط السياسي والاستيطاني والعسكري لمشروعها الاستعماري الكبير، بل أولت جزءاً كبيراً من جهدها للجانب الفكري والروحي، واهتمت بتنشئة الفرد اليهودي المؤمن بالأفكار الصهيونية، والتمسك بقيم الماضي، مثل هذا اليهودي هو الذي ينطلق من تلقاء ذاته لتحقيق المشروع الصهيوني مدفوعاً برغبته الذاتية واقتناعه الشخصي" (٣). "ومن الثابت تاريخياً أنه كان أمام الحركة الصهيونية الكثير لتقوم به من أجل تنفيذ أهدافها العنصرية الاستعمارية ابتداءً من تغيير صورة اليهودي السيئة في ثقافات الأمم المختلفة وكسب تعاطفهم، فخلق اليهودي الجديد المؤمن بالفكر الصهيوني، ويكاد يكون الأدب العبري الأداة الأولى التي حملت راية الدعوة للصهيونية فكان المصدر الأول لتأصيل الدعوة العقيدية الصهيونية.

لقد عرفت الصهيونية القيمة العالية لفعل العمل الأدبي في إيصال الدعوة والتبشير بالمنطلقات النظرية للحركة الصهيونية مدركة أن عملية الإحياء القومي لن تبدأ حقيقة إلا

(١) أهداف الصهيونية www.mostafamahmoud.blogspot.com

(*) إن كلمة عبري متعددة المعاني فيمكن أن تكون للدلالة على جماعات اليهود المرتحلة، ويمكن أن تكون تمييزاً لتراث اليهود أو تمييزاً لنوع من الأدب استخدم اللغة العبرية وهي لغة اليهود المقدسة.

(٢) أحمد على مرسى، فاروق محمد الجودي: "الفولكلور والإسرائيليات". القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧، ص ٢٩.

(٣) محمد أحمد صالح حسين: "اللغة العبرية والجهود الصهيونية لإحيائها". مجلة جامعة الملك سعود، كلية اللغة والترجمة، المجلد الثامن عشر، ٢٠٠٥، ص ٢٠١.

بالإحياء الثقافي، فمنذ انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول استخدم الصهاينة الأدب في شتى أشكاله التعبيرية خير استخدام" (١) وكان المسرح أحد هذه الأدوات، لقد قدم الأدب بشكل عام والمسرح بشكل خاص دعما حقيقيا للمشروع الصهيوني وذلك بالعمل على ثلاثة محاور هي:

• إحياء اللغة العبرية.

• إرساء قواعد المسرح العبرى.

• تشكيل الشخصية اليهودية الجديدة.

المحور الأول: إحياء اللغة العبرية:

"رغم أن المسرح فن من فنون الفرجة، حيث يتلقى الجمهور عبر النصوص والعروض المسرحية جرعة من الترفيه بالإضافة إلى النواحي التعليمية، والتنقيفية، والتحريرية، إلا أنه في حالة المسرح اليهودى (*) فى فلسطين انقلبت الأوضاع وشهدنا دورا جديدا للمسرح، فلقد حرص مؤسسوه على اتخاذ فن المسرح وسيلة لإحياء اللغة العبرية وذلك بعد أن انحسرت عن الاستعمال قرونا عديدة حتى كادت أن تصبح غريبة على اليهود أنفسهم، وقاصرة على الشعائر الدينية.

مثل هذا الهدف فى حد ذاته لم يكن من أجل إحياء هذه اللغة الميتة بل كان الهدف تحقيق تجانس لمجتمعات الشتات، إن إحياء اللغة العبرية يعنى إحياء الثقافة والسياسة القومية بكل ما تثيره من وعى بمجد الأمة اليهودية" (٢)

(١) انظر: فاتزة عبد الأمير نائف الهديب: "الاتجاهات الصهيونية فى الأدب العبرى الحديث". عمان: دار مجدلاوى للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦، ص ٩، ١٠، ١١.

(*) وهو تصنيف لبعض الأعمال الأدبية إما من منظور مضمونها أو من منظور الانتماء الدينى لكاتبها إذ تصنف الأعمال الأدبية التى تتناول موضوعا يهوديا أو مستمدا من حياة أعضاء الجماعات اليهودية أدبا يهوديا. ويمكن تصنيف الأعمال الأدبية من منظور انتماء كاتبها فإن كان يهوديا صنف ما كتبه على أنه أدب يهودى.

(٢) شكرى عبد الوهاب: "المسرح اليهودى - سنوات فى خدمة الصهيونية العالمية". القاهرة: ١٩٩٩، ص ٣.

وبذلك "لم تكن عملية إحياء اللغة العبرية فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فى فلسطين من قبل المهاجرين عملية لغوية على نحو محض، بل كانت جزءا من فكر مرتبط بالصهيونية فى محاولاتهم لتأسيس وطن تجمعهم القومية اليهودية تمهيدا لإعلان دولة إسرائيل. ويعتبر (اليعيزر بن يهودا) (١٩٥٨ - ١٩٢٢) محبى اللغة العبرية، لقد تمسك (بن يهودا) بالأفكار الصهيونية فكان الاعتقاد السائد بأن أحد المعايير اللازمة التى تحدد أمة ذات حقوق وطنية هو استخدامها للغة مشتركة يتحدث بها المجتمع ككل.

هاجر (بن يهودا) إلى فلسطين ليعيش فى القدس عام ١٨٨١، وحاول حشد الدعم لفكرة التحدث بالعبرية، وبدأ النشاط بالانتشار فى نطاق واسع فتأسست أول مدرسة عبرية عام ١٨٨٦ ثم تلاها الكثير، ثم بدأ استخدام اللغة العبرية يخرج من نطاق المدرسة إلى الأماكن العامة حيث ضمنت العبرية مكانتها كلغة رئيسية فى المؤتمرات وتم اعتمادها كلغة رسمية. لقد أيقن المهاجرون بان التحدث باللغة العبرية هو بمثابة القوة الدافعة لوجود شعب قومي يهودى فى إسرائيل فتأسست تل أبيب أول مدينة عبرية فى عام ١٩٠٩ حيث أجبر مهاجروها على التحدث بالعبرية" (١)

"وإنطلاقا من التوجه نحو إرساء دعائم اللغة العبرية بدأت بعض المدارس فى احتفالاتها السنوية بعرض بعض الأعمال المسرحية بلغة عبرية. ولعل الطريف فى الأمر أن هؤلاء التلاميذ فى البداية كانوا لا يجيدون هذه اللغة أصلا فقط حفظوها كما هى وألقوها على جمهور لا يعرف العبرية، وفى عام ١٨٩٠ قدم طلاب مدرسة (ليميل) الثانوية فى القدس عرضا مسرحيا تحت اسم (زوروبابل) أو (العودة إلى جبل صهيون) كتبت المسرحية باللغة الليديّة(*) فى الأصل ثم ترجمت للعبرية، وكان هذا العرض المسرحى هو أول عرض باللغة العبرية على أرض فلسطين، ولعلها ليست مصادفة أن يأخذ الحفل مكانه

(١) أدب عبرى / www.wikipedia.org

(*) هى لغة منحدره من الالمانية الداچة التى انتشرت بين يهود شرق أوروبا وكانت هى لغتهم الرئيسية.

في مدينة القدس، فالدلالة واضحة ومقصودة لهدف أكبر من كونه مجرد عرض مسرحي بلغة عبرية" (١)

"لم تتوقف المحاولات الخاصة بالمسرح المدرسي. فمع بداية القرن العشرين، وفدت إلى فلسطين أعداد كبيرة من المهاجرين من رواد المسرح الذين أسهموا في إحياء الثقافة اليهودية من خلال إرساء قواعد المسرح الناطق بالعبرية سواء بالتأليف أو بالترجمة "لقد كانت هناك في فلسطين محاولات جادة من الفرق الناشئة لإقامة مسرح عبري" (**)(٢)

المحور الثاني: إرساء قواعد المسرح العبري:

"لقد فطنت الحركة الصهيونية العالمية لأهمية دور المسرح في معركتها من أجل إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين فتساند الاثنان. مؤسسو المسرح العبري ورجال السياسة الصهيونية. فكان العمل على إنشاء مؤسسات قومية صهيونية ثقافية، فلقد اتسمت العشر سنوات الأولى من القرن بقيام مجموعة من التنظيمات السياسية والثقافية، فتكونت فرق الهواة، وتعددت محاولاتهم المسرحية الداعمة للصهيونية إذ اقترح أهل الفكر اليهودي عام ١٩٠٥ في مدينة يافا تكوين فرقة لهواة المسرح وسموها (محبى المسرح العبري) كبداية، كما أسهم وعد بلفور الذي أصدره وزير خارجية بريطانيا لمساعدة اليهود في إقامة وطن لهم في ازدياد الهجرات إلى فلسطين والتي أتت بمجموعة من الكتاب والفنانين والمفكرين والمثقفين ومع بدايات القرن العشرين وباعتماد اللغة العبرية لغة رسمية، فلقد تم ترجمة الكثير من الأعمال المسرحية البيدية واليهودية والتي تخدم في معظمها الفكر الصهيوني. إن المسألة كما هو معتاد أن الأمة تلد أبناء يتفرون، إلا في حالة المسرح العبري، فإن الأبناء ولدوا كنبت شيطاني، وتجمعوا من كل

(١) "المسرح اليهودي": مرجع سبق ذكره، ص ١٦٣، ١٦٤.

(**) وهي إشارة لكل نص مسرحي كتب أو ترجم للعبرية، وهو اصطلاح يشير إلى الانتماء اللغوي للعمل الأدبي فحسب.

(٢) رمسيس عوض: "اليهود، والأدب الأمريكي المعاصر". القاهرة: دار الهلال، ١٩٩٨، ص ١٥.

حذب و صوب لينسبوا أنفسهم إلى الأم، فكان المسرح البيدي بكل أفكاره وموضوعاته، إلى جانب المسرح اليهودى والذى يتضمن أعمال كتاب يهود العالم الذين استمدوا مادتهم من واقع بيئتهم وثقافتهم وتحريرتهم اليهودية أو أعمال لكتاب غير يهود ولكنها انحازت لأفكارهم ومعاناتهم هى الروافد الرئيسية التى صبت فى تيار المسرح العبرى فى فلسطين.

كانت المحاولة الأولى للمسرح العبرى الاحترافى فى فلسطين عام ١٩٢٠ مع فرقة (الباركوخيا) ثم ظهر أول مخرج احترافى دارس وهو (دافيد دافيدوف) وكان الوضع العام عند وصوله كالتالى:

- لم يكن فى فلسطين بأسرها ممثل واحد يمكن أن يقال عنه محترف.
- ليس هناك أى حرفى متخصص فى أى مهنة من المهن المسرحية الفنية.
- كان الموقف الاقتصادى سيئا، والبطالة منتشرة فانعكس ذلك على المسرح مما أدى إلى عدم قدرة الجماهير على ارتياد المسرح ومشاهدته.

كان على (دافيدوف) أن يجمع البقية الباقية من الفرق السابقة بالإضافة إلى القلة القليلة المتحمسة التى التفت حوله. وكان حفل الافتتاح الأول فى تل أبيب والذى قدم فيه ثلاث مسرحيات قصيرة يقدم فيه كتيباً للمشاهدين تحمل هذه العبارات (إننا نرى أن المسرح أحد الاحتياجات الضرورية فى هذا الزمن بالذات، خاصة فى بلدنا الذى يمر بمرحلة إعادة البناء ويواجه بدايات لموجات كبيرة من الهجرة المتوقعة، إننا نضع خطانا على بداية الطريق المملوء بالعقبات والعوائق، من أجل هدف واحد هو خلق مسرح عبرى فى فلسطين. لقد أوضح (دافيدوف) بمقولته تلك الهدف الرئيسى من ريادته لفرقته المسرحية.

ظهرت أيضاً فرقة مسرح الخيمة والتى تأسست عام ١٩٢٥ على يد (هاليفى) الذى آمن بالأفكار الصهيونية، وقام بتكوين فرقة من أهدافها الإسهام فى رفع الروح

المعنوية لأفراد الشعب اليهودى لتعزيز الاستيطان، ولفت النظر إلى إعتبار التوراة هو المعتقد التقليدى للمعرفة.

فى عام ١٩١٢ ظهرت فى بولندا فرقة (الهائىما) والتى تبنت فكرة انشاء مسرح عبرى حديث، تلك الفرقة التى لعبت منذ العام ١٩٣١ دورا رئيسيا فى فلسطين، فلقد كان لكتاب ألفه هرتزل عن الوطن اليهودى أثره فى قائد الفرقة (ناخوم زىماخ). وتعنى كلمة (هائىما) فى اللغة العبرية تلك المنصة العالية فى المعبد اليهودى حيث يقف الحاخام ليقراً التوراة، وهكذا أضفى زىماخ على المسرح الصبغة الدينية والقداسة، وكأن الممثل هو الحاخام الذى يصدر التعاليم والمسلّمات التى لا تناقش. هاجرت تلك الفرقة إلى فلسطين، وأصبحت إحدى أهم المؤسسات القومية الثقافية الصهيونية، فلقد تبنت هذه الفرقة أيضا الفكر الصهيونى فيقول زىماخ عن فرقته: لقد بذرت البذور فى التربة، وسوف تكبر وتنمو، إن هدفى أرض إسرائيل. ويقول أيضا: لقد ظلت الأمة اليهودية صامته لسنوات طويلة، ولكن مع يقظة العالم كله يجب أن تقول هذه الأمة شيئا لشعبها، وإنه على العالم أن ينصت لها، لقد شتتنا جهودنا ومواهبنا ووزعناها على المسارح الأخرى فى أنحاء العالم، واليوم إننا نرغب وبعد وقفة طالت أن يسمع العالم صوتنا فى مسرح يمتلكه الشعب اليهودى. يجب أن نخلق فنا خاصا بنا.

كما ظهرت أيضا فرق أخرى هى أرض إسرائيل والخيمة والتى قدمت مسرحا موجها لتربية الجماهير اجتماعيا وسياسيا، كما ظهر المسرح التجارى العبرى والذى اهتم بالربح. ولكن ظلت فرقة (الهائىما) هى الأشهر والأكثر نجاحا حيث حصلت (الهائىما) على مساندة بلا حدود فإن ما لقيته الفرقة من ترحيب وما كتبه النقاد والمثقفون عنها، كان له رد فعله الايجابى بالنسبة للجماهير إذ أقبل سكان فلسطين على مساندة الفرقة لدرجة أن البطاقات المطروحة قد نفذت عن آخرها فى كل العروض المقررة" (١)

(١) أنظر: "المسرح اليهودى". مرجع سبق ذكره، ص ١١٩، ١٣٧، ١٦٤، ١٧٣، ٢٣٣، ٢٨٤، ٢٨٧.

المحور الثالث: تشكيل الشخصية اليهودية الجديدة:

"لم يعرف فى تاريخ اليهود أنهم يخلصون فى طاعة، وليس فى تاريخهم كله عشر سنوات متواليات خلت من الفتنة والعصيان والتمرد، لقد وصفهم القرآن الكريم فى قوله تعالى " بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقَلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ" ولكننا لا يجب أن ندينهم بكتاب لا يؤمن به أنصارهم ففى كتبهم المعتمدة كفاية لتوكيد هذا ففى سفر الخروج (قال الرب لموسى: (رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة)، وفى سفر التثنية يقول لهم موسى عليه السلام: (إنى عارف تمردكم ورقابكم الصلبة)"^(١) لقد تبين للعالم بأسره منذ فجر التاريخ أن الكثير من المشكلات كان سببه الرئيسى اليهود.

ولقد ازدادت المشاعر المعادية للسامية^(*) على مر الأزمنة مما أدى إلى الحكم المبرر عليهم بالاضطهاد والإقصاء والإبادة "وإذا كان لا غرابة فى شعور الأمم نحوهم، فهم أنفسهم أشد الناس اضطهاداً لغيرهم، ففى كتب التلمود المعتبرة عندهم وصايا عند المعاملة يقال لهم (إذا خدع يهودى أحداً من الأمم وجاء يهودى آخر واختلس من الأسمى بعض ما عنده بنقص الكيل أو زيادة الثمن. فعلى اليهوديين أن يتقاسما الغنيمة التى أبرمها إليهما يهوه) ويقصد بالأمميين أو الجويم كل نفس غير يهودية، فمعاملتهم لا تعرف الحدود فمنها استباحة قتل الأطفال والنساء وإحراق الحرث والنسل وتدمير المدن، فإذا كان هذا هو شعور اليهود نحو الآخرين فلا غرابة فى شعور الأمم نحوهم بتواصل التفرقة والانقسام"^(٢)

هذا الشعور المعادى لليهود أصبح جزءاً من ثقافة الشعوب وتجلى فى انتاجهم المسرحى بشكل واضح كانعكاس لتلك الثقافة، "ففى مسرحية (يهودى مالطة) لـ

(١) عباس محمود العقاد: "الصهيونية العالمية". دار المعارف بمصر، مجموعة اخترنا لك، ص ٣٤، ٣٥.

(*) الساميون هم الشعوب الأساسية مثل الأكاديون الذين سكنوا سومر والعرب الذين سكنوا شبه الجزيرة العربية وكذلك يقصد بها الشعوب المعتنقة لليهودية.

(٢) "الصهيونية العالمية": مرجع سبق ذكره، ص ٤٤، ٤٦.

(كريستوفر مارلو) نجد (باراباس) التاجر اليهودى الذى يهتم بجمع ثروته يعلن دائماً أنه يفضل أن يكون يهودياً غنياً مكروهاً على أن يكون نصرانياً فقيراً منتظراً للصدقة مستخفاً بالديانة المسيحية، ويتحدث دائماً عن نجاح اليهود، رغم أنهم أمة مشتتة فى الأرض، تنتهى المسرحية باعترافه بجرائمه ومكائده وهو يسب قاتلاً (اللعنة على النصارى والكلاب، والأتراك الكافرين) (١).

لقد ظهر جلياً فى هذه المسرحية والتي ظهرت أواخر القرن السادس عشر نزعة التعالى العرقى وحب المال مما يجعل المتلقى رافضاً للشخصية اليهودية وما تحمله من أفكار عدائية.

وفى مسرحية (تاجر البندقية) لوليام شكسبير "تظهر لنا شخصية (شاييلوك) اليهودى. إنه التاجر المرابى الطامع الحقود الذى وضع شروطاً صعبة لو تأخر (انطونيو) عن موعد سداد الدين وهى قطع جزء من جسد (انطونيو).

وعند تأخر السداد أصر اليهودى على هذا الشرط رغم محاولة آخرين ترصيته بالمال، وعندما سئل عن السبب قال أنه لا يريد المال وأنه يفضل قطعة من لحم (أنطونيو) ليرميها دون فائدة لأنه يكرهه ولا يطيق رؤيته ف (انطونيو) بالنسبة له إنسان قاس كان يناديه بالكلب دائماً، ولكنه الآن سيعضه بأنيابه عندما وقع فريسة له" (٢).

ورغم تصوير شخصية اليهودى بالحاقد الشرير فى ثقافات الشعوب إلا أنه يتضح أيضاً أن الاضطهاد القائم ضد اليهود وماله من مبررات تاريخية موروثه قد أنتج سيكولوجية يهودية خاصة تحكمها نوازع الكره والانتقام وجمع المال وكأنه القوة التى تحميهم. وكما تناولت المسرحيات العالمية شخصية اليهودى على أنه مثال الشر والحقد والبخل والتعالى، فقد ظهر المسرح اليهودى لينشر ثقافة مضادة وهى شخصية اليهودى المظلوم من جميع المحيطين به من دون اليهود. كما استغلت الصهيونية الوضع الاجتماعى لليهود فى مختلف بقاع الأرض للترويج لفكرة معاداة السامية لكسب التعاطف الدولى وخلق

(١) يهودية مالطة / Ar.wikipedia.org

(٢) مقتبس فى وليم شكسبير: "تاجر البندقية". عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠١٠.

شخصية اليهودى الجديدة المتمسكة بتراثها الدينى وحققها فى أرض الميعاد بعيداً عن الشتات وعزله الجيتو^(*) "ويرى آحاد لعام ١٨٥٦ - ١٩٢٧ وهو من أهم الكتاب والمفكرين فى الأدب العبرى أن المسألة اليهودية تأخذ شكلين أحدهما فى الشرق وثانيهما فى الغرب. وفى الغرب تم فقد هويتهم اليهودية وتعريضهم لمسألة معاداة اليهود ولكن عند عودته لأرضه وجد العالم اليهودى فى الشرق ضيقاً لا يشجع حاجته الثقافية فالعالم اليهودى لم يعد بعد جزءاً من ثقافته، ولذا فهو يصبوا إلى إنشاء دولة يهودية يستطيع أن يعيش فيها حياة يحقق فيها لنفسه كل ما يريد من أشياء كان لا يستطيع الوصول إليها وهو إن لم يستوطنها بنفسه وبقي حيث يكون فإن مجرد وجودها على الأقل سوف يرفع مكانته أينما كان فلا ينظر إليه نظرة احتقار، ويرى آحاد أن كل شئ يجب أن يستخدم كأداة لتأكيد هوية الشعب"^(١).

"مع نهاية القرن الثامن عشر قامت حركة لخلق المسرحية اليدوية تزعمها بعض اليهود الألمان فى محاولة لإقامة مسرح عبرى يقف على قدم المساواة مع غيره من المسارح العالمية حيث أن هذه الكتابات حملت أفكاراً يهودية دينية وامتدت هذه الحركة إلى روسيا وأخذوا يقدمون مسرحيات تحمل أفكاراً يهودية باللغة اليدوية أيضاً"^(٢).

"وقد انتعش المسرح اليدوى، وانتشرت فكرته وقدمت الفرق المسرحيات الدينية المستوحاة من التوراة أو التراث اليهودى. ولقد قام أول مسرح ييدى عام ١٨٧٦، ومما لاشك فيه أن هناك نخبة من أهم مؤلفى المسرحيات اليهودية وتحديداً المسرحيات اليدوية كان لأعمالهم أثر واضح على مسيرة المسرحيات اليهودية ومن أهم مؤلفى المسرحية اليدوية (إبراهام جولد فادن) الذى يعد رائد المسرح اليدوى إذ كتب ما يقرب من ستين مسرحية موسيقية كما كتب لها الأغاني والأشعار ووضع لها الموسيقى. هذا

(*) هى الأحياء التى عاش فيها اليهود فى عزلة عن باقى فئات المجتمع، ويكون وجودها بالنسبة لهذا المجتمع وجوداً هامشياً.

(١) منتديات واتا الحضارية/ لأكسيكون الأدب العبرى. www.wata.cc

(٢) أحمد صفق/ قراءة فى المسرح اليهودى www.ahewar.org

التراث اليبدي كان معبراً عن المعاناة والآمال والمزاج القومي للجماعات اليهودية بل وكشف عن ميول صهيونية متعصبة".^(١)

"لكن فترة ازدهار هذا المسرح كانت قصيرة فلقد ظهرت عوامل حضارية وسياسية قضت على فرص هذا الأدب في التطور"^(٢).

وبعيداً عن التصنيف اللغوي فلقد قدم المسرح اليهودي من كل أنحاء العالم مسرحيات ترسخ لثقافة يهودية تلك المسرحيات كانت بمثابة محاولات لتغيير الثقافة الغربية ونظرته لليهودي، وكسب تعاطف الشعوب مع اليهود في الغرب كما كانت هي الأساس الذي اعتمد عليه خلق المسرح العبري في فلسطين، فلقد استخدمت فرق المسرح العبري في فلسطين ذلك التراث اليبدي واليهودي في محاولة لخلق يهودي جديد مدركاً لتراثه الديني والثقافي، ورافضاً لمعاناة الشتات وتمسكاً بوطنه الجديد، "ففي نظرية (الصهيونية الثقافية) التي طرحها آحاد هعام نجده يدعو إلى بعث أو تحديث الثقافة اليهودية حتى يمكنها التعايش مع العصر الحديث من خلال إطار القومية العضوية، ففي فلسطين يستطيع اليهود أن يستوطنوا ويعملوا في شتى فروع الحياة ومثل هذا المركز العضوي سيصبح مع مرور الزمن مركزاً للأمة تستطيع أن تظهر وتتطور من خلاله إلى أعلى درجات الكمال ومن هذا المركز ستشع الروح القومية العضوية إلى سائر الجماعات اليهودية في العالم فبعث فيهم حياة جديدة تقوى وعيهم القومي وتوطد أواصر الوحدة بينهم، ومن خلال هذا المركز ستنمو الشخصية اليهودية وستزال منها الشوائب التي علقت بها نتيجة سنوات طويلة من الشتات وستولد له شخصية جديدة فخورة بهويتها اليهودية. لكن عملية البعث العضوي هذه لا يمكن أن تتم دفعة واحدة وبعملية سياسية بسيطة فهي عملية حضارية طويلة بطيئة ببطء النمو العضوي"^(٣).

(١) أحمد صقر: "المسرح والمجتمع بين النظرية والتطبيق". كلية الآداب، جامعة الإسكندرية.

(٢) عبد الوهاب المسيري: "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية". المجلد الثالث. للتحميل 4kotob.com

(٣) منتديات وانا الحضارية / لأكسيكون الأدب العربي، موقع سبق ذكره.

لقد عملت الفرق المسرحية الناشئة في فلسطين، والتي تبنت الصهيونية هدفاً لها واعتبرت المسرح مؤسسة قومية تبث من خلالها تلك الأيدولوجية الصهيونية بكل جد، فانتمت الفرق نصوصاً مسرحية من ذخيرة التراث اليبدي واليهودي والذي يتناول العالم اليهودي، ويصور معاناته وأحلامه ومشاكله.

المبحث الثالث: المسرح العبري بين الفكر والفن:

"يعد التراث الدرامي اليهودي هو حجر الأساس للمسرح العبري في فلسطين حيث انتقت الفرق المسرحية نصوصاً ثلاثم المزاج العام للشخصية اليهودية فكانت في معظمها موضوعة في قوالب فنية أوروبية وتهتم بتقديم ما يلي:

● مسرحيات التراث العالمي والتي تم تطويعها أحياناً بما يلائم الثقافة اليهودية، لتغيير صورة اليهود المشوهة حفاظاً على مشاعر اليهود.

● مسرحيات تهتم بإحياء التراث الديني والثقافة اليهودية وذلك لتوجيه النظر إلى الفكر التوراتي، والتركيز على أمجاد اليهود وحقوقهم الدينية.

● مسرحيات تهتم بمعاناة المجتمع اليهودي مع التركيز على أوضاعهم الحياتية التي طالما شكوا من بؤسها في محاولة لبعث الهمم، وخلق اليهودي الجديد القادر على تنفيذ المهمة الاستعمارية الصهيونية برفضه أولاً واقع الشتات وعزلة الجيتو والاضطهاد المستمر الواقع عليه كدافع لمواجهة مشكلات المجتمع الجديد التي قد تهدد هذا المجتمع الناشئ"^(١).

أولاً: الاهتمام بالخطاب الصهيوني:

"قدمت فرقة الهايما وهي الفرقة التي تحتل المركز الأول في فلسطين في الفترة من (١٩٣١ - ١٩٤٨) ٧٩ مسرحية منها ٤٤ مسرحية يهودية و ٣٥ مسرحية غير يهودية أى من التراث العالمي.

(١) انظر: "الاتجاهات الصهيونية في الأدب الحديث". مرجع سبق ذكره، ص ١١.

داخل العروض اليهودية، نجد ست مسرحيات توارثية وثمانى عشرة تعالج موضوعات تاريخية تهدف إلى إحياء الثقافة اليهودية ولغتها كما نجد ست عشر مسرحية من قصص الشتات أما المسرحيات الأربع الباقية فهى عن حياة المهاجرين فى فلسطين.

أما فى الفترة من (١٩٤٩ - ١٩٦٨) فلقد قدمت الهايما مائة وستة وأربعين عرضاً مسرحياً حيث قلت نسبة المسرحيات اليهودية إذ أنها كانت بنسبة ٥٦% فى المرحلة الأولى وأصبحت ٢٦,٧% فى المرحلة الثانية وهذا يعنى أن الفرقة بدأت فى عمل التوازن بين ما هو خاص (يهودى) وعام (عالمى) بما يتفق مع ظروف المرحلة حيث اختلف الخطاب الفكرى للمسرحيات اليهودية فى المرحلة الثانية، فالمسرحيات التوراتية مثلاً فى المرحلة الأولى كانت مأخوذة بنصها من التوراة أما فى المرحلة الثانية فلقد تم تناول القصة بتصرف وإسقاط تفاصيلها على الأوضاع الاجتماعية والسياسية للحياة المعاصرة كما انخفض عدد المسرحيات التى تناقش حياة اليهود فى الشتات فلم تقدم الفرقة فى المرحلة الثانية سوى ٤ مسرحيات فقط وكانت مناقشة مشكلات المجتمع الجديدة لها الأولوية.

لم تكن كل المسرحيات العالمية ملائمة للجمهور اليهودى، فكان لابد دائماً من مراعاة الأهداف والروح اليهودية فى المقام الأول. فحين قدمت فرقة (الهايما) مسرحية (تاجر البندقية) أعلن النقاد أن بطلها (شاييلوك) لا يمثل الروح اليهودية بل إنه يخالف تقاليد وسمات اليهود، فلقد أثار عرض هذه المسرحية ثورة المتعصبين فعمدت الندوات وكأنها محاكمة شكسبير وفرقة الهايما ومخرج المسرحية (ل. جسنر) ورغم حرص الفرقة على تغيير الرؤية الإخراجية للنص فى كل مرة إلا أن الموضوع قد أخذ بعداً سياسياً غلب على البعد الفنى"^(١) "وبذلك فإن الاتجاه للثقافة الغربية والاستلها من المسرح الأوروبى وعاداته كان يعتمد غالباً على إيجاد القيم الملائمة والبعد عن كل ما يسبب الألم لليهود مرة أخرى أو يذكره بماضيه الأليم، أو تحويل الجو والبيئة إلى جو وبيئة يهودية تلائم

(١) "المسرح اليهودى": مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦٨، ٢٦٩.

الثقافة اليهودية ومشاعر اليهود وذلك إذا لزم الأمر. وبذلك لم يستطع المسرح العبرى الانفصال عن التراث اليبدي الخاص بالثقافة اليهودية والمعبر عن حياتهم الحقيقية^(١).

أما عن المسرحيات اليهودية فبرغم "سيطرة النص التوراتي على المسرحيات المأخوذة من أسفار الكتاب المقدس والتي تحمل أفكاراً تعزز القومية اليهودية من خلال محاكاة الدين والتاريخ"^(٢). إلا أن "هذا اللون من المسرحيات مر بالعديد من الصعاب الفنية رغم أنه يحمل خطاباً صهيونياً واضحاً. ففي مسرحية (حب جبل صهيون) و التي قدمتها الهايما في القدس عام ١٩٤٧ وهي من تأليف (إبراهام مابو) تقع الأحداث في مملكة يهوذا عندما كانت محاطة بالفلستينيين، وكان الوقت مناسباً لتقديمها في ذلك التاريخ فهي أسطورة تركز على ارتباط الشعب بأرضه وبرغم نجاح العرض جماهيرياً إلا أن النقاد لم يحسنوا استقباله، سواء من ناحية الإعداد المسرحي للنص، أو طريقة تقديمه، فلقد رأى النقاد أن أحد الصعاب الفنية التي تمر بها المسرحية التوراتية هي عدم كفاية العناصر الدرامية، ومحاولة استكمال حبكة مما يؤثر في جودتها الفنية، كما أن محاولة استخدام الواقعة التوراتية وجعلها تتناسب مع الأهداف السياسية والاجتماعية في فلسطين وقتها قد أثر في إبراز محاسنها الفنية"^(٣).

"إن المختارات المسرحية للمسرح العبرى قدمت تعريفاً واضحاً للوظيفة التي أسندت له تجاه هذا المجتمع"^(٤). فمسرحية (من الصعب أن تكون يهودياً) للكاتب الأوكراني اليهودي (شالوم عليخيم) والتي تعد من أهم أعماله، اهتم شالوم بالعالم اليهودي بشكل خاص ويعد شالوم من أشهر كتاب المسرح اليبدي حيث بدأ عليخيم (١٨٥٩ - ١٩١٦) الكتابة بالعبرية إلا أنه كتب بالييدية في وقت لاحق ثم بدأ في ترجمة أعماله للعبرية"^(٥) "أما عن أهمية هذه المسرحية والتي كتبها عام ١٩١٤ فتكمن في عرض معاناة

(1) Martin Banham: "The cambridge guide to theatre". cambridge university press, united kingdom, 1995, p 479.

(٢) توفيق العيسى: "الأهداف فوق الفن، قراءة في أيولوجية المسرح الصهيوني". موقع الحوار المتمدن، ٢٠٠٩.

(٣) "المسرح اليهودي": مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٧.

(4) Avnel ziv: "Jewish Humor". new Brunswick, New Jersey, 1998, p.165

(5) www.ithl.org Hebrew literature (the institute for the translation of Hebrew literature)

اليهود في قالب فكاهي، فهي تعرض للظروف الشخصية التي يعانيها اليهودي في أوروبا قدم عليخيم لشخصين روسيين أحدهما يهودي وهو **Hersh Shneyerson** والآخر مسيحي وهو **Ivan Ivanovitch** يتبادلان لمدة سنة حياة بعضهما البعض، لقد قدم شالوم بوعي كامل الصعوبات التي يتعرض لها اليهودي في حياته، لم يدرك (إيفان) تلك المعاناة وأراد أن يثبت أن لا صعوبة في أن يصبح الإنسان يهودياً وفي هذا الأمر يلاحظ أن غير اليهودي لا يقدر معاناة اليهودي فكان هذا الشخص بمثابة شاهداً على مدى ما يلاقيه اليهودي من آلام وشعوره بأنه لا يملك الأرض ولا الاستقرار ولا يستطيع أن يأخذ حقوقه في الجامعة مثلاً وذلك رغم تفوقه، إنهم يعيشون دائماً كأقلية منبوذة.

يقول شنيرسون : كل شيء حولنا جميل تماماً لكن شيئاً واحداً مفقود وهو أن يرخص لك العيش هنا.

يقول إيفان : في هذه الحالة فقد يتاح أن يقبل الطالب الأسوأ غير اليهودي للجامعة بينما الأصلح فيخرج.

لقد كانت تلك الحياة البائسة هي سبب تبني فكرة تحقيق وطن للشعب المشتت المنبوذ فللك الحياة التي تعرضها المسرحية كانت الحافز لعدم التقاعس عن تنفيذ إقامة وطن⁽¹⁾. "وإن إنجازات شوليم تدل على مقدرته الفائقة في استخدام أسلوب الضحك من خلال الدموع لإثارة الشفقة والتعاطف وأهم ما يميز مسرحيته هو خلق مساحة للشخصيات اليهودية وإن طغت على مساحات فنية أخرى وذلك من أجل تسليط الضوء على حياتها ومعاناتها"⁽²⁾.

لقد تكيف المسرح العبري بأدواته ولغته لتلبية أهدافه، فكان المسرح موجهاً لإيقاظ المشاعر القومية وللتأسيس للحركة المجتمعية للوصول للمستوى المطلوب من الاستقرار والاستيطان، "ففي مسرحية هذه الأرض للكاتب أهارون أشمان والتي عرضت

(1) *Sholem Aleichem: "It is hard to be AJew". Translated by, Arthur A. chiel, canadian Jewish Congress.*

(2) *Jacob Weitzner: " Sholem, Aleichem in the theatre". Lonsdale press ltd, London, P47.*

عام ١٩٤٢ فى فلسطين والتي تدعو لتمجيد الأفكار الصهيونية، والدعوة للتمسك بالأرض رغم كل المصاعب والمتاعب التي صادفها هؤلاء المستوطنون الروس، كان المكان مزرعة وسط البرك والمستنقعات، حيث تنتشر الأوبئة والأمراض، خاصة الملاريا، البشر يتساقطون فى كل يوم بسبب الحمى، ويثار السؤال الهام، هل بسبب ذلك نتخلى عن هذا الموقع أم نظل متمسكين به؟ كان من رأى الأطباء هجر الموقع لأن بقاء المستوطنين فيه يعرضهم للفناء والهلاك، لقد أخذ السكان بالرأى الطبي، وبدأوا فى الإخلاء، ولكن بطل المسرحية، وهو رائد من رواد الاستيطان يدعى (يأول بوشب) يتصدى للفارين، وينجح فى لم شمل هذا الشتات بعد أن خاطب فيهم القوة والشجاعة بشعارات صهيونية مؤثرة، ورغم صيحات الفارين التي تتعالى لم ييأس (يأول) وظل يدحض رأى الأطباء بالحجة مرة وبالوعد مرة أخرى، إلى أن نجح فى إنشاء هؤلاء المستوطنين عن هجر المكان، إن المسرحية تؤكد على هدف واحد، إن المستنقعات يمكن أن تجف بالعمل المستمر الجاد، وبالتالي يمكن القضاء على بويضات الملاريا، وأن الحقول الخضراء يمكن أن تزدهر اليوم بعد أن كانت مستنقعات، ولكن بفضل المستوطنين الرواد.

لقد أعجبت المسرحية النقاد، واعتبروها إسهاماً من الفرقة والفن فى غرس الأفكار الإيجابية وتوجيه سلوك البشر خاصة وأن مؤلفها قد حرص على حشوها بكل ما هو مؤثر ومحرك للعواطف^(١)، وبذلك تعرض مسرحية (هذه الأرض) للبطولة والتضحية الإنسانية للمهاجرين الجدد فى تطويرهم لهذه الأرض وبذلك يتم تعزيز الاستيطان كحل لخلاص الشعب اليهودى. "ففى المسرحية تصل التضحية إلى الأبناء فيضحى الأبوان بأبنائهم لمذبح الأرض يقول يأول: نستطيع أن ندفن الموتى، ولدنا أبناء دفنوا وكذلك إخوان وأخوات ولكن كيف نستطيع أن نقف هنا وندفن الأحياء الأصحاء الناجحون، أليست (ياركيا) حية الآن (ويشير تجاه القرية) الحقول خضراء وكرم العنب يزهر، والمنازل تقف

(١) "المسرح اليهودى": مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٤، ٢٦٥.

على أساساتها، والإله في السماء، لماذا لا تريد ذلك وبعد كل ذلك لا نطلب منك سوى مهلة قليلة وخبز من أرضك.

يقول أفراهام وهو بطل آخر: إن وادي يوف لن يسقط ولكن علينا أن ندفن (داني) الذي أعطى حياته، نعم إننا ندفع ثمناً غالياً. تلك المقولات الموجهة كان من شأنها أن تملأ المشاهدين بأحاسيس الهوية والحماسة التي يتمنى أن يراها الجمهور^(١).

ثانياً: المكانة الفنية للمسرح العبري:

ظل المسرح العبري بوقاً للأفكار الصهيونية فبات مخاطباً فئة واحدة وليس معالجاً للبشرية إجمالاً، فلا نجد صدها مؤثراً في مراحل تطور المسرح العالمي في القرن العشرين والذي ظهر فيه العديد من المذاهب المسرحية الجديدة في إطار الإبداع النصي وكذلك الكثير من التيارات المسرحية على مستوى العرض، "فلقد اتخذت الدراما منذ نشأتها الأولى شكلين أساسيين هما التراجيديا والكوميديا، ثم بدأت الدراما في التحرر من سيطرة التراث الكلاسيكي القديم والتقييد بأصوله الفنية الجامدة كقانون الوحدات الثلاث ومبدأ فصل الأنواع، ومعالجة الموضوعات التاريخية الإنسانية، فظهرت أنواع أخرى من الدراما فكان الطريق مفتوحاً للثورة الرومانسية، وكذلك معالجة أمور الحياة على مستوى الخبرة اليومية، والتي تجلت في المذهب الواقعي والطبيعي، ثم جاءت المعالجة التي تقوم على التشويه أو التحريف لتظهر التعبيرية والسيرالية، كما أن المعالجة التي تأخذ شكل الالتزام بموقف والمسئولية تجاهه فتؤدي إلى الوجودية وعلى النقيض فقد تعالج الدراما الحياة لا بالمطابقة أو المحاكاة ولكن بالمشابهة والموازاة ليظهر الاتجاه العبسي في المسرح"^(٢).

"وبذلك فقد ارتبطت نشأة الدراما الحديثة في أوروبا بالظروف والمتغيرات التي استجدت على إنسان العالم المعاصر بينما ارتبطت نشأة المسرح العبري بالأهداف

(١) Aharon Ashman: "this land". a play of pioneer jewish settlement, hapoel hazair, 1942. مقتبس في (1)

(٢) جلال العشري: "المسرح فن وتاريخ". القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١، ص ٨٥، ٨٧.

الصهيونية فكان المسرح العبرى أداة الصهيونية فى نشر فكرها وذلك باستعارة الأشكال الفنية الغربية بمذاهبها المختلفة.

والأدب العبرى الحديث ليس أدب مجتمع وإنما هو أدب منبتق أساساً من أفكار عقائدية صهيونية متعصبة تقف وراءه وتشكل أرضيته، هذا الأمر أثار ولا شك فى النواحي الفنية، للعملية الإبداعية، وذلك لأن ذهن الكاتب غالباً ما يكون أسيراً لتلك التوجهات، لقد تبنت الفرق المسرحية اليهودية موضوعات ومفاهيم وأفكار كانت ولا تزال تمثل الهيكل العظمى والمقومات الأساسية للأدب العبرى، وهى ذاتها الموضوعات والأفكار التى يقوم عليها الفكر الصهيونى مثل معاداة السامية والاضطهاد، الشتات وأسطورة الجنس المتفوق وأرض الميعاد^(١)، "فالمسرح العبرى هو من اليهود ولليهود فهو يرتبط بقوة بالتركيز على الصهيونية والحقيقة الإسرائيلية والطبيعة الثقافية الملائمة لهم، لقد خلقت الأعمال المسرحية داخل هذا العالم المنفصل، وبذلك لا يعد المسرح العبرى باباً من أبواب الفن حيث أنه لم يستطع أن يحتل مكانة من زاوية التناول اليهودى فهى مشبعة بالعادات والأغاني والأشعار اليهودية التى تعبر عن الثقافة اليهودية دون غيرها"^(٢) "وبالتالى أصبح فناً عبرياً وليس فناً بالعبرية، فكان العمل بمهارة تجاه تأكيد الهوية مما أدى إلى الانغلاق والتركيز على تحقيق الأهداف الصهيونية"^(٣).

(١) عبد الوهاب محمد الجبورى: "قراءة جديدة فى ملامح الأدب العبرى ووظائفه". مجلة دنيا الرأى، ٢٠٠٧/٢/١٤.

(2)Edna Nashon: "jewish theatre". global view, institute of jewish studies, Brill, 2009, p 2. 4. 5.

(3)Linda Ben-Zui: "theatre in Israel". university of michigan, 1996, p. 68.

وقد خلصت الباحثة إلى عدة نتائج أهمها:

• الصهيونية هي حركة سياسية يهودية، اجتمعت فيها كل معتقدات وطموحات ومعاناة اليهود في العالم فاستطاعت أن تخلق لنفسها المشروع العالمية عن طريق اعتمادها على المعتقدات الدينية التوراتية، واستغلال الوضع الاجتماعي لليهود في كافة أنحاء العالم مع الترويج لفكرة معاداة السامية والتي تمثلت في عدد من الأعمال المسرحية الأوروبية كانعكاس لثقافة الغرب تجاه اليهود.

• لقد انتشرت الصهيونية بفعل العمل الجاد لمؤسساتها وخاصة الثقافية التي رسمت خطوات واضحة لتنفيذ أهدافها وتحقيق مشروعها الاستيطاني فقام المسرح بتجميع اليهود الذين أتوا من الشتات إلى وطن قومي واحد تحت مظلة لغة واحدة أصيلة هي اللغة العبرية فأصبح المسرح معلماً وداعماً للغة، وكذلك بوقاً للأفكار العقائدية حيث ركز الخطاب المسرحي على تنمية الوعي الديني بأسطورة أرض الميعاد وشعب الله المختار مع التذكير بألم الشتات وتجميل الحياة في الأرض الجديدة واختيار ما يلائم الثقافة اليهودية من التراث العالمي دون إيذاء لمشاعرهم.

• نشأت مجموعة من الفرق أخذت على كاهلها مهمة اختيار المسرحيات التي تحمل الخطاب المطلوب نشره في عقول المهاجرين، لقد اعتبرت الفرق المسرحية مؤسسات قومية ثقافية صهيونية مساهمة في الترويج للفكر الصهيوني والإقناع به.

• ابتعد المسرح العبري عن كونه أدباً عاماً وظل مخاطباً لفئة واحدة كما كان التركيز على الخطاب الصهيوني في المسرحية أثره في التخلي عن النواحي الفنية والتي كانت هي الأخرى مستعارة من المسرح الأوروبي.

• لم يترك المسرح العبري حتى منتصف القرن العشرين بصمة واضحة فنياً على المستوى العالمي بل نجح المشروع الصهيوني في توجيه المؤسسات وإدارة المسرح العبري لتحقيق أهدافه الأمر الذي انتهى بنجاح المشروع الصهيوني وإقامة دولة إسرائيل عام ١٩٤٨.

الهوامش

- ١ - صيد الفوائد، الصهيونية www.saiid.net.
- ٢ - عبد الوهاب المسيري: "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية". المجلد السادس، متاح في www.4Kotob.com.
- 3- www.aklaam.com.
- ٤ - رجاء جارودي: "الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية". القاهرة، دار الغد العربي، ١٩٩٦.
- 5- www.enjeel.com
- ٦ - أهداف الصهيونية www.mostafamahmoud.blogspot.com
- ٧ - أحمد على مرسى، فاروق محمد الجودي: "الفولكلور والإسرائيليات". القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧.
- ٨ - محمد أحمد صالح حسين: "اللغة العبرية والجهود الصهيونية لإحيائها". مجلة الملك سعود، كلية اللغات والترجمة، المجلد الثامن عشر، ٢٠٠٥.
- ٩ - فائزة عبد الأمير نائف الهديب: "الاتجاهات الصهيونية في الأدب العربي الحديث". عمان، دار مجدلأوى للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦.
- ١٠ - شكوى عبد الوهاب: "المسرح اليهودى - سنوات فى خدمة الصهيونية العالمية". القاهرة، ١٩٩٩.
- ١١ - أدب عبرى www.wikipedia.org
- ١٢ - رمسيس عوض: "اليهود والأدب الأمريكى المعاصر". القاهرة: دار الهلال، ١٩٩٨.
- ١٣ - عباس محمود العقاد: "الصهيونية العالمية". دار المعارف بمصر، مجموعة اخترنا لك.
- ١٤ - يهودى مالطة air.wikipedia.org
- ١٥ - وليم شكسبير: "تاجر البندقية". عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠١٠.
- ١٦ - منتديات واتا الحضارية/لاكسيكون الأدب العربى www.wata.cc
- ١٧ - أحمد صقر: قراءة فى المسرح اليهودى www.ahewar.org
- ١٨ - أحمد صقر: "المسرح والمجتمع بين النظرية والتطبيق". كلية الآداب، جامعة الإسكندرية.

١٩- عبد الوهاب المسيري: "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية". المجلد الثالث،
Akotob.com

20- *Martin Bnham: "the Cambridge guide to theatre". Cambridge University press, United Kingdom, 1995.*

٢١- توفيق العيسى: "الأهداف فوق الفن، قراءة في أيديولوجية المسرح الصهيوني". موقع الحوار
المتمدن، ٢٠٠٩.

22- *Avnel ziv: "Jewish Humor". new burnswick, new jerssey, 1998.*

23- *Hebrew theatre (the institute for the translation of Hebrew literature).*
www.ithl.org

24- *Sholem Aleichem: "it's hard to be a jew". translated by, Arthur A.chiel, Canadian Jewish Congress.*

25- *Jacob Weitznes: "sholem Aleichem in the theatre". lonsdal press ltd, London.*

26- *Aharon Ashman: "this land". the play of pioneer jewish settlement, hapoel hazair, 1942.*

٢٧- جلال العشري: "المسرح فن وتاريخ". القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١.

٢٨- عبد الوهاب محمد الجبوري: "قراءة جديدة في ملامح الأدب العبري ووظائفه". مجلة دنيا
الرأى، ٢٠٠٧/٢/١٤.

29- *Edna Nashon: "jewish theatre". Global view, institute of jewish studies, Brill, 2009.*

30- *Linda Ben-Zvi: "theatre in Israel". University of Michigan, 1996.*